

# مئة عام على ميلاد عبقرى السينما الإيطالية فيديريكو فيليني

## إعادة اكتشاف روما بين الذاتي والموضوعي والتاريخي والمعاصر



سقوط الكنيسة



عرض الأزياء العجيب

التكوينات والسيتمترية، والصور الضبابية والآثار العملاقة. وينتهي الفيلم بمشهد العشرات من الدرجات النارية التي يقودها شبان يرتدون الملابس السوداء، تعبر جميع روما في الليل بمواقعها وأثارها الشهيرة التي تمر علينا كاشباح تكمن في الظلام، وهي فكرة مخيفة قد تكون إنذاراً من عودة الفاشية للهيمنة على روما مع بلوغ تلك المرحلة من "التدهور".

إن "روما فيليني" استطراد لفكرة "التدهور" و"الانحطاط" التي سببها فيليني أغوارها من خلال أسلوبه وخياله الخاص في "ساتيركون". فبعد روما القديمة ينتقل فيليني إلى روما الحديثة، محذراً من السقوط.

لا يوجد أبطال في "روما". فيليني لا يتحدث حتى بصوته بل بصوت آخر مختلف، وهو لا يتجاوز سوى في ما ندر، مع المحيطين به، بل يبدو منفصلاً صامتاً في معظم المشاهد وفي كل المراحل. وتبدو العاهرة التي تقف على أبواب روما شامخة شموخ المدينة التاريخية نفسها، وكأنها تعبر عن الحيرة، عن التطلع القلق إلى اللامتناهي، إلى المدينة التي لا تتغير أبداً. فالكنيسة سرمدية، والدولة تهيمن بقسوة وجبروت على المصائر، والشباب حائر يسقط في حميم المخدرات أو ينغمس في تظاهرات الاحتجاج على التهميش (كانت إيطاليا تشهد الكثير من الفوضى والتظاهرات والإضرابات وقت تصوير الفيلم). والكبار يحبون المدينة بقدر كراهيتهم لها.. ورغم السام والإفراط في محاولة تجاهل الواقع، يستمترون في التشاجر والتدافع والبحث عن التسلية والتفاهم أكبر كمية من الطعام.

لا يوجد أبطال في فيلم "روما فيليني" بل بطل واحد فقط هو روما نفسها، لذلك لا يجب أن يبحث المشاهد عن علاقة بين الشخصيات والمشاهد في بناء تقليدي يقود من البداية إلى نهاية مفهومة سهلة، فنحن أمام رؤية حرة، وتداعيات تنطلق من خيال الفنان، مركزها وأساسها الذي تنطلق منه هو المدينة نفسها. فهي هنا "البطل".

فيلمه يواصل فيليني كعادته انتقاد الكنيسة التي تحولت إلى عرض كبير للزنا حيث يستعرض القساوسة والراهبات ملابسهن في حضور بابا الفاتيكان نفسه وممثلي بقايا الطبقة الأرستقراطية الغابرة. وهو مشهد لا مثيل له في تاريخ السينما.

### تفاصيل الصورة

لا تغفل عين المشاهد عن الاهتمام الكبير بكل تفاصيل الصورة التي تمتع الفيلم الإحساس بالفترة الزمنية والانتقال في الزمن: الملابس والديكورات والإكسسوارات وتصنيفات الشعر، مع كثير من التحرر في الخيال واختيار الأشكال والوجوه والأجساد التي يولع بها فيليني كعادته، فكثير من الوجوه تبدو كما لو كانت ترتدي أقنعة، والموسيقى التي تسبق تقديم الكثير من الشخصيات هي موسيقى السيرك، فهو يرى الناس كمجموعات من المهرجين. ولا ننسى أنه قدم فيلم "المهرجون" (1970) قبل هذا الفيلم مباشرة.

لعل المشهد الذي يبدأ به الجزء الذي يصور خلاله فيليني فيلمه التسجيلي عن روما يلخص التناقض بين جمال الماضي وقبح الحاضر. نحن نرى فيليني يجلس فوق رافعة تجرها سيارة ترتفع لترصد زحام الطرق في روما وتكسر السيارات على الطريق السريع، ثم نتابع الرافعة التي تحمل فيليني وهي تسير وراء العشرات من السيارات تحت المطر الغزير، ثم تعبر الكاميرا على الكثير من معالم روما التي نعرفها، لينتهي المشهد الذي يبدو كأنه يدور بين الواقع والكابوس عند الكوليسيوم وتتوقف الكاميرا وتحلق من أعلى على المشهد العام تحت سحابة كثيفة من المطر تضيء المهابة على الصورة. ويستغرق هذا المشهد وحده 9 دقائق وهو يحمل كل ملامح الأسلوب الباروكي لفيليني: الكاميرا المتحركة التي ترصد،



هذا الفنان السينمائي المرموق الذي لعب دوراً أساسياً في ميلاد الواقعية الجديدة مع رائدها الكبير روسيليني، سرعان ما هجر الواقعية بعد 6 أفلام، وأطلق العنان لخياله الجامع، في تعبيره عن رؤيته الذاتية» للعالم، لعالمه الخاص وتجاربه الذاتية



يحتفل العالم هذه الأيام بمرور 100 عام على مولد المخرج الإيطالي الكبير فيديريكو فيليني، فقد ولد في بلدة ريميني في 20 يناير 1920. وحتى وفاته عام 1993 كان قد أخرج 24 فيلماً طويلاً، حملت بصمته الخاصة كفنان سينمائي صاحب أسلوب مميز، ساهم مع دي سيكا وروسيليني وأنطونوني وفيسكونتي وباروليني في وضع إيطاليا على خارطة السينما في العالم.

مظلمة والكاميرا تتحرك لتستعرض صخرة كبيرة ثم يظهر صوت فيليني يخبرنا أن ما يعرفه عن روما القديمة هو صخرة ضخمة كانت تقع خارج بلدته. ثم يستعيد في المشهد الثاني ما كان المدرس (في المدرسة الكاثوليكية) يلقنه للتلاميذ عن روما: يأخذهم إلى النهر الذي يقول إن يوليوس قيصر قد عبه. وتطلب المعلمة من التلاميذ وبينهم فيليني خلع أحذيتهم وعبور النهر وراء المدرس الذي يقودهم وهو يهتف: إلى روما.

ننتقل إلى صعاك يقفون في الشارع قرب المسرح. موسيقى عالم السيرك.. ثم مشهد من مسرحية "يوليوس قيصر" حيث يُقتل قيصر بأيدي رفاقه، ثم إلى المدرسة حيث يصبح المدرس مهرجاً وهو يتحدث عن العظيمة الرومانية القديمة، وكيف يعيب به التلاميذ، ثم إلى قاعة الطعام حيث يمارس القس القهر عليهم بدعوى الانضباط، ثم يعرض عليهم عن طريق الفانوس السحري صوراً لبعض المعالم الشهيرة في روما وأولها كنيسة سانتا ماريا ماجيوري الشهيرة، ثم قوس الإمبراطور قسطنطين، وكاتدرائية سان بطرس بالفاتيكان، ثم تظهر صورة امرأة تكشف مؤخرتها فيصبح التلاميذ ويتقافزون بينما يحاول القس أن يسكتهم ويرغمهم على إغلاق عيونهم.

فيليني الصغير حاضر في المدرسة ثم في البيت مع أسرته، ثم معهم أمام السينما التي تعرض فيلماً عن روما القديمة. الحشد يقتحم السينما لمشاهدة الفيلم.. البطل يخلص البطلة الجميلة من الموت والجميع يحرق في الشاشنة وتنتابح الدموع.

الجمهور يتجمع أمام السينما، لا يوجد مكان للجميع في الداخل، وتقع مشارجات من أجل الحصول على المقاعد، ثم على الشاشة يظهر فيلم تسجيلي في تجسيد الفاشية. امرأة لصب تجلس بين رجلين في قاعة السينما، يقول لنا فيليني بصوته إنهم كانوا يعتبرونها أسوأ من موسوليني.

سنقف في الزمن إلى عام 1938 مع وصول فيليني الشاب إلى محطة روما بالقطار. هنا تصبح روما ليست كروما التي نعرفها، بل صورة أخرى لها من عيني الفنان. إنه يصبحنا إلى منزل كبير يترق باباه، لقد جاء بتوصية لصاحبه لاستئجار غرفة فيه، لكنه لا يشبه منزلاً حقيقياً، بل هو عالم بانسره.. بشخصياته المتعددة المتباينة التي تخفي التي تسكنه، بغرفة وممراته التي تخفي الكثير من الأسرار، وتظهر الكثير مما يجب القاطنون إظهاره واستعراضه. هناك ميل واضح لدى سكان هذا المنزل الذي يعبر عن رغبة فيليني في الاندماج، في الانتساء، وأن يصبح مثل "أهل روما".

وهو سيخرج معهم يتناول الطعام في المطاعم المفتوحة الممتدة على الأرصفة، حيث يلتهم الجميع كميات هائلة من الطعام حتى الربيء منه. ربما يحتفلون بالحياة وربما ياكلون لأنهم سئموا العيش وأصبح الأكل والجنس متعتهم الوحيدة كما يقول لنا فيليني في مقطع آخر.

### ثنائية الجمال والقبح

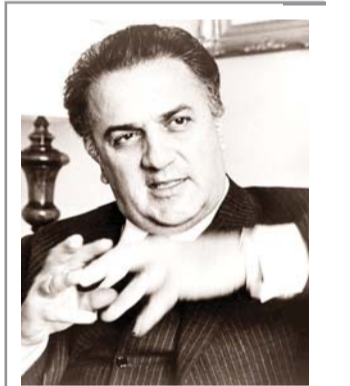
سيكشف لنا فيليني في مشاهد عديدة أخرى بعد ذلك، "الابتذال" و"القبح" والإقبال على الجنس في مشاهد بيوت الدعارة التي سيترصد عليها لأول مرة في روما، والعاهرات اللاتي يقدمن أنفسهن لمن يدفع، وكيف تتم رشوة المسؤولين للتغاضي عما يُمارس من أعمال منافية للقانون، والتناقض بين جمال الوجه وقبح المضمون (من خلال العاهرة الجميلة التي يكاد بطلنا يقع في حبها)، ثم ينتقل بنا إلى المسرح حيث تنتشر الأعمال المتذبذبة السخيفة، التي يقبل عليها الجمهور ويندفع من أجل مشاهدتها وهي استكمال للسينما الهروبية التي تتغنى بالبطولات والأمجاد القديمة، وكلها من سمات عصر الفاشية



أمير العمري  
كاتب وناقد سينمائي مصري

بعد أن قدم فيلمه الأكثر طموحاً "ساتيركون" (1969) الذي يعكس رؤيته الخاصة المليئة بالجموح لـ"روما" القديمة وعالمها المليء بالغرابة والعجائب، يقدم فيليني بعد ذلك "روما فيليني" (1972) أي روما كما يراها فيليني. والمقصود روما التي عاشها في شبابه وصولاً إلى الزمن المضارع حينما كان يصور الفيلم في أوائل السبعينات.

يتضمن "روما فيليني" الكثير من ملامح السيرة الذاتية لمخرجه، تماماً مثلما كان فيلمه الأشهر "8 ونصف" (1963) ثم في ما بعد، "اماركورد" (1974). فهذا الفنان السينمائي المرموق الذي لعب دوراً أساسياً في ميلاد "الواقعية الجديدة" مع رائدها الكبير روسيليني، سرعان ما هجر الواقعية بعد 6 أفلام، وأطلق العنان لخياله الجامع، في تعبيره عن رؤيته "الذاتية" للعالم، لعالمه الخاص وتجاربه الذاتية. لكن فيليني لا يزعم أبداً أنه يسرد ذكرياته أو يستعيد الماضي من خلال "الحقائق" أو رواية "التاريخ"، فكل من الحقيقة والتاريخ يمكن إخضاعهما للكثير من التساؤلات عندما يتعلق الأمر بـ"الرؤية الذاتية"، خاصة رؤية فيليني الذي عرف بولعه بعالم الأحلام.



فيليني يوجه النقد إلى الإيطاليين أنفسهم الذين تغاضوا عما يحدث وأغضبوا عيونهم عنه وانساقوا وراء المتع الرخيصة العابرة

في الفيلم كثير من المناظر أو الأماكن المألوفة المعروفة التي تميز "روما السياحية"، لكن ما نشاهده لا يشبه ما نعرفه في الواقع سوى من حيث الملامح العامة الخارجية فقط. فكاميرا فيليني تضيء وتضفي، تقترب وتبتعد، تصنع دلالات أخرى للصور، تجعلها تكسب خصوصياتها أيضاً من الحركة المستمرة للكاميرا التي تميز أسلوب فيليني الباروكي الشهير وتركيزه الحالم على "الجمال العظيم" الذي يبرز في التكوينات والتصميمات المعمارية بقبابها الشهيرة، والديكورات الداخلية ذات الألوان الناصعة، ليس من أجل استعراض العضلات بالطبع، ولا مجرد المرور السريع على أكبر مساحة ممكنة من "المظهور" ولكن لخلق مشاعر وتأثيرات محددة.

موسيقى نينو روتا تصاحب عناوين الفيلم، توجي باننا سننتقل في الزمن، سنعود إلى الماضي. فهي موسيقى مليئة بالحنين والسحر كأنها تمهد لما سنراه خلال تلك الرحلة التي يصحبنا فيها "المايسترو". ومع نهاية العناوين تظهر لقطة لأشجار وفلاحات يركبن دراجات، يتحدث عن أقاربهم الذين هاجروا إلى أميركا وماذا يقولون عن العالم الجديد في رسالتهم. إننا في ريميني مسقط رأس فيليني، تلك البلدة الساحلية الصغيرة التي خلدها في راعته "8 ونصف". الأشجار عارية والسحب تتجمع في السماء والبيئة فقيرة جافة واللقطة شبه